قسم الفلسفة- كلية العلومَ الإنسانية والاجتماعية- جامعة 08 ماي 1945 قالمة.

المادة: فكر الجزائري (4). السنة: ماستر1

أستاذ المادة: رابح مراجي

**عبد الحميد بن باديس وفكره**

1. **التعريف بان باديس( 1889-1940)م:**

* ولد بقسنطينة، فهو من أسرة تاريخية قسنطينية عريقة، تعلم القرآن بطلب من أبيه سنة 1884 تعلم القرآن في إحدى زوايا المساجد(زوايا القادرية) لتعليم القرآن في حي "السويقة".
* ولما وصل إلي مستوى علم من فهم القران، فولاه شيخه أمام المصلين في الجامع الكبير بقسنطينة وعمره إحدى عشرة سنة، وصار بعد ذلك إمام لصلاة التراويح ثلاثة أيام.
* ولما وصل إلي سنة 1903 شرع في تعلم العلوم الإسلامية والعربية.
* من خلال المراجع التي مر عليها من تعلم القران وتفسيره، فقد تخرج بشهادة التطويع سنة 1911، وانتقل إلي جامع الزيتونة لإتمام العلم وتفسير القرآن مع كبار علماء جامع الزيتونة.
* ثم انتقل بعد ذلك إلي الأزهر واخذ من علوم القرآن مع علماء مصريين مما زاد في علمه.
* وصار يعلم العلم والقران بعد زيارته إلي تونس ومصر.
* يتخذ طريقا أخر مثل:- اهتم بالصحافة، السياسة.

-كتب في عدة مجلات باسم الدول العربية: الشهاب، المنتقد، السنة

النبوية، الصراط المستوي.

* ابن باديس صار وطنيا ويدافع على هوية الجزائريين: اللغة العربية، الإسلام، الوطن.

إضافة إلي ذلك فقد كانت له مجلات متعددة ينشر فيها أفكار الدولة الجزائرية ويدافع عنها...ويدعوا الجزائريين أن يدافعوا عن اللغة والتراب...في مقال ما قام به الفرنسيون الذين استحلوا واستعمروا الجزائر، وتبيان وجود الفرنسيين الذين يقومون في طمس المجتمع الجزائري.

1. **التسامح الديني عند ابن باديس:**

يعتبر الدين ركيزة المجتمع، وهو قطب الرصي بين مختلف العلوم والفنون لان التسامح لا يشمل الحياة الفكرية أو العلمية فحسب، وإنما يتعدى إلي المسائل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ويكون الدين هو القاسم المشترك بين هذه العلوم والفنون، وأهميته تكمن في كونه مصدرا للقواعد الأخلاقية ومصدرا لدعوة إلي العلم والتعلم ومصدرا لكيفية تحصيل الأموال وصرفها، لان العقيدة الإسلامية لا تأمر إلا بالخير والنفع والحق والصلاح والسلم والسلام، وهذا الأمر لا يتوقف على الإسلام وإنما يشمل أيضا الديانات السماوية كاليهودية والمسيحية لأنها من لدن حكيم عزيز اله واحد شرع لبني البشر، غير أن بعضا من أصحاب الديانتين(اليهودية والمسيحية) عملوا على تجاوز الشرائع السماوية وتغييرها أو العمل على الخروج عن النصوص التشريعية الحقيقية فاستغلوا الدين لأغراض خاصة كانت في السياسة أو العلم أو الدين أو ما شابه ذلك.

وقد وعى الشيخ، عبد الحميد بن باديس، ما ورد بشأن الشريعة الإسلامية الداعية إلي التلاحم والتآزر والتسامح، والابتعاد عن التعصب الديني والعرقي وحتى السياسي، لان ذلك يؤدي إلي فساد المجتمعات فيؤدي بدوره إلي هلاك الأمم والأجناس على اختلافها ولذلك فان الشيخ يدعو إلي التآخي مع أصحاب الديانات السماوية، حيث يقول " حتى جاء الإسلام ينشر راية التسامح العام ويقلع جذور الحقد الديني من قلوب متبعيه، ويكفيهم عن التعصب على المخالف لهم في الدين".[[1]](#footnote-2) لأن الاختلاف في الدين لم يكن من نتاج البشر، وإنما الذي جعل ذلك هو الخالق الواحد الحكيم الذي لا يسال عما يفعل[[2]](#footnote-3)، وحكمته واضحة صرح بها وهي" أن تباين أعمالهم بتباين مشاربهم ومداركهم مما هو ضروري لنمو العمران وتقدم الإنسان وظهور حقائق الأفراد والأمم بالابتلاء والاختبار بها أو تبين من عقول وإرادات وقوى وأعمال"[[3]](#footnote-4)،وذلك وفقا لقوله تعالي"ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات"[[4]](#footnote-5)،فالتعايش السلمي بين الأمم ضرورة من ضرورات التواصل مع الأخر حتى لو كان الأخر متعديا وسالبا للحق، لان السماح أو التسامح لا شك يساعد على رد الحقوق وذلك مما يظهر من أخلاق وسلوك فيه من اللين والمودة ما يقلل من غطرسة الخصم(الأخر)،" نحن قوم مسلمون جزائريون، في نطاق مستعمرات الجمهورية الفرنساوية، فلا تبا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعوا إلي كل كمال إنساني، ونحرص على الأخوة والسلام بين شعوب البشر، وفي المحافظة على هذه التقاليد المحافظة على أهم مقوماتنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا"[[5]](#footnote-6) فالإنسان لا يملك إلا ما أمره الله وهداه إليه من أفعال تجاه خالقه وتجاه الآخرين، الذين يقاسمونه هموم الدنيا وملذاتها، وان الله هو الذي اوجد هذا الكون بما فيه من مخلوقات، وخلق الناس شعوبا وقبائل وجعل لهم عقائد، ولذلك نري أن الإسلام ربي المسلمين على التسامح وكون نظرهم لغيرهم من أهل الملل، فهم لا يرون في اختلاف تلك الملل أو لا شيئا قد قضاه الله واقتضته حكمته لعمارة هذه الديار وتلك الدار...فسلمت قلوبهم من الحقد الديني الممقوت والتعصب المذموم"[[6]](#footnote-7) فهذه الآراء والدلائل التي يقدمها الشيخ هي أراء أتباعه من العقيدة الإسلامية من جهة، ومن التربية الإسلامية التي تربي عليها كونه متمسك بما جاء في الشريعة الإسلامية، من حسن المعاملة ودماثة الأخلاق الحميدة والتوصية بالجار حتى ولو كان كافرا وإغاثة المستغيث وغيرها،ربت هذه القواعد الأخلاقية الشيخ ابن باديس وطبقها في حياته اليومية التي كان يقاسم فيها شتى أنواع الناس من الناحية السياسية ومن الناحية الدينية، هذه الأخيرة تظهر بوضوح في وجود ثلاث ديانات هي: الإسلامية، المسيحية، اليهودية، وكان يبسط أخلاقه على أصحاب معتنقي هذه الديانات ويحفه بالتسامح مما يلقاه الشيخ أو المسلمون من طرف هؤلاء.

ولعلني اذكر ما وقع للشيخ ولمنتاسبي الجامع الكبير بقسنطينة، من احد اليهود الضالمين الذي يعرف بـ" الياهو" من كلام فاحش وسلوك منحط قبالة الجامع الأخضر أثناء تأدية إحدى صلوات النهار، مما أدي إلي إثارة مشاعر المسلمين الذين هموا إلي تأديب اليهودي لولا تدخل الشيخ ابن باديس رفقة حاكم الشرطة لأنها الخلاف بين الطرفين فقال ابن باديس" إن فطرتنا الإسلامية وعقائدنا الدينية واحترامنا لرجال الحكومة، كل هذه تحملنا على معاونتكم فيما ذكرتم ولكن بمزيد الأسف، أن الدين الذي نتهذب به والناس ونربيهم وننزل في قلوبهم الرحمة قد وصلت الإهانة والتعدي إليه، ومع ذلك فإننا نجد غاية المجهود"[[7]](#footnote-8) ولعل السبب الحقيقي الذي جعل الشيخ يقبل بالتسامح، إضافة إلي ما تنص عليه العقيدة الإسلامية، انه نظر إلي ما سيحدث إذا ردوا على هذا اليهودي، من تأزم بين السكان(مدينة قسنطينة)، لأنه يبين أن التسامح جاء "لستر الواقعة حتى لا يقع بسببها شر كل ذلك لما نحن مصممون عليه من منع كل فتنة بين السكان"[[8]](#footnote-9)، فالتربية التي تربي عليها ابن باديس جعلت منه إنسانا نقي القلب من كل غلو ديني أو سياسي، واسع الصدر عظيم التسامح.

والحال كذلك بالنسبة للمسيحيين وللمتعصبين من المستعمرين الفرنسيين فتراهم يسعون إلي الاستفزاز في ديننا الإسلامي وفي ثقافتنا وتعليمنا حيث سعي حكام فرنسا بان منعوا التعليم الديني واللغة العربية في جميع الأماكن بل سعوا إلي غلق المدارس القرآنية وتوبع من يقوم بالتدريس دون رخصة[[9]](#footnote-10) من الحاكم العام أو الإقليمي للجزائر، وهذا فيه من الظلم والإجحاف في حق الجزائريين من التعلم والتعليم، لان بالعلم تزدهر المدن وتتألف الشعوب أني كانت مشاربها وهو يدعو إلي تجنب هذه المضايقات بنفس وتيرة الحكومة الفرنسية بل نراه في بعض الأحيان يدعو إلي تعلم لغة شعب فرنسا لان الأقدار قد جمعت الشعبين ولا بد من التفاهم والتعايش السلمي بينهما، حيث يقول" أن شعبين متباينين ربطت أوضاع الحياة الجارية بينهما، لا أحسن لهما من أن يتفاهما ويتناصفا ويتألفا، ومفتاح ذلك أن يتعلم كل منهما لغة صاحبه"[[10]](#footnote-11)، ولا يقف الأمر عند قادة فرنسا في الجزائر في مضايقة الشعب الجزائري في دينه ولغته بل تعدي أيضا إلي القائمين على الكنائس النصرانية، الذين لا يدخرون جهدا في ذكر الإسلام والمسلمين في الجزائر بأبشع الصور المنفرة والبغيضة المثيرة للأحقاد.[[11]](#footnote-12)

ورغم هذه الأحقاد والضغائن فان الشيخ لم يرد عليها بنفس الحدة أو النبرة وإنما دعا إلي التسامح واللين تجاه هذه الدعوات الحاقدة، لأن الإسلام علمنا حسن المعاملة ودماثة الأخلاق والتواصي والتآخي[[12]](#footnote-13) مع الأخر مهما كان اختلافنا عرقيا أو دينيا أو حضاريا، ولذلك يقول الشيخ في تأكيد التسامح وعدم التضايق من الأخر ما نصه" نحن كمسلمين لا يضيق صدرنا بان نري أهل كل دين يحتفلون بطقوس دينهم ويظهرون تمسكهم بعقيدتهم، ويدعون إليه بكل وجه شريف نزيه بل نود أن يقع التفاهم بين أهل الملل على أصل التدين، ليقع التعاون على نشر أصول الخير والإحسان التي تتفق عليها جميع الملل وعلى مقاومة الشر والظلم والإلحاد المحرمة عند الجميع"[[13]](#footnote-14)، ومن هذا يتبين أن هناك مسيحيون استعماريون ومسيحيون أصحاب ملة، فالأولون جعلوا الدين وسيلة لبلوغ غايتهم وهي استعباد الشعوب وطمس معالمها وأثارها في الدين واللغة والوطن وغيرها، أما الآخرون فان عقيدتهم لا تختلف في مفهومها وغايتها عن العقيدة الإسلامية التي تدعوا إلي المحبة والإخاء والتسامح...ولأدل على ذلك ما يعقد في هذا القرن والقرن الماضي من ملتقيات بين الإسلام والمسيحية وما ينتج من توصيات تخدم الديانتين ولا تتعدي الواحدة منها الحدود المسموحة به.[[14]](#footnote-15)

1. -ابن باديس/التسامح الإسلامي،ص1 [↑](#footnote-ref-2)
2. -ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة، سورة النحل اية93

   "ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة"هو118 [↑](#footnote-ref-3)
3. -ابن باديس التسامح في الاسلام [↑](#footnote-ref-4)
4. -المائدة 48 [↑](#footnote-ref-5)
5. -ابن بادي/حياته واثاره ج3ص:277 [↑](#footnote-ref-6)
6. -ابن باديس/التسامح الإسلامي ص:3 [↑](#footnote-ref-7)
7. -ابن باديس حياته واثاره،ج4 ص:41 [↑](#footnote-ref-8)
8. -المصدر نفسه، ج4 ص:43 [↑](#footnote-ref-9)
9. -ابن باديس حياته واثاره، ج3 ص:188 [↑](#footnote-ref-10)
10. -ابن باديس حيايته واثاره، ج3 ص:257 [↑](#footnote-ref-11)
11. -ابن باديس/التسامح الإسلامي،ص:3 [↑](#footnote-ref-12)
12. -ابن باديس حياته واثاره، ج3، ص:179 [↑](#footnote-ref-13)
13. -محمد الطاهر فضلاء، قال الشيخ الرئيس، الامام عبد الحميد بن باديس، دار البعث قسنطينة، 1968/ص: 295 [↑](#footnote-ref-14)
14. -الملتقي الإسلامي المسيحي المنعقد بتاريخ 23-28 شعبان 1394هـ الموافق لـ 10-15 سبتمبر بمدينة قرطبة [↑](#footnote-ref-15)